الباب الثاني

بعض ما قال هو وما كتب

سيف القضاء مرهف

اما مثل الخاطىء — وكلنا بالطبيعة ذلك الخاطىء — مثل رجل معلق فوق هوّة سحيقة تتراكض فيها الافاعي السامة، وتزأر فيها السباع الفتاكة ؛ والشيطان ماسك بيده سيفاً حاداً يريد أن يقطع ذلك الخيط — ومن يستطيع وصله إذا انحسم ؟

هذه حال الخاطىء . حال كل بعيد عن المسيح . حال كل من لم ينل غفراناً لخطاياه . حال كل من لم يغتسل بدم ابن الله .

هذه حال الادبي مهما كان مظهره في أعين الناس . حال المتكل على بره الذاتي . حال من يسعى لاحراز الفضائل بقوة عزيمته غير حاسب لقوة الله حساباً . هذه حال كل من لا يؤمن بذلك الذي يبرر الخاطئين .

هذه حال الملك والصعلوك . هذه حال الناس جميعاً لافرق بين كبيرهم وصغيرهم ، بين غنيهم وفقيرهم ، اللهم إلا أولئك الذين أغمدوا سيف القضاء في جنب يسوع المفتوح ...

هـذه حالك أيها القاريء الكريم — ما دمت بعيداً عن المسيح وصليبه — سواء أأردت أم لم ترد . حالك تماماً لا اكثر ولا أقل . فاياك وان تغالط نفسك فتخدعها ، ولا شيء أشد خطراً من خداع النفس . خير لك ان تجابه الحقائق ولو مرة ، وان تدفع الحقائق الحقائق .

حال مرعبة ومن لا يرتعب منها ؟ حال مخيفة ومن يطيب له البقاء فيها؟

ان من حكم عليه بالموت ليبيت بعد الدقائق الى يوم مماته واحدة واحدة، ولا يهدأ له بال قط ، ولو انه قد يخال ان في رقدة الموت راحته الابدية . . فما بال الخاطىء وسيف القضاء مرهف فوق رأسه تراه يسرح و يمرح يفكر في كل شيء في الوجود خلا تلك الفاجعة العظمى ؟ ! . .

ألا فليتنبه الخاطىء ، قبل ان يتنبه وهو يتلوى بين نيران الجحيم !

ألا فليتنبه الخاطىء قبل ان يفيق ليطلب التو بة بالدموع الغز يرة فلا يجدها!

ألا فليتنبه الخاطىء قبل ان يستيقظ ضميره — فيصير كالله عارفاً الخير والشر — فيصب عليه الضمير اسواط العذاب !

ان الخاطىء لفي غفلة ، مغمض الاجفان لا يرى ، وجهنم بقرب منه رابضة مستعدة لان تنشب أظفارها فيه ، وهو لاه مستلذ النوم . و يسوع يدعوه بصوت عذب أن « قم من غفلتك » . وكلما أفاق قليلاً غلبه سلطان النوم فاستعذبه واستسلم له . ولكن ساعة النوم ان تطول ؟ ولسوف يقوم ليرى نفسه مقيداً بقيود أبدية تحت الظلام . . . لقد يستطيع الشيطان ان يجمل له النوم و يأتي له في نومه بأعذب الاحلام ، ولكن سوف يأتي الوقت الذي يوقظه فيه يقظة رائعة — هائلة — مخيفة — فيرى نفسه في قبضته لا يستطيع الفكاك ! . .

* * *

ليت واحداً من بين اولئك الذين وقعوا في قبضة الجحيم يبعث رسولاً الى الارض فينذر اولئك الذين استرسلوا في الخطية والشهوات ، ولم يعبأوا بصليب المسيح — ينذرهم بالو يل والثبور ، وعظائم الامور

لو بعث هيرودس من قبره ماذا كان يفعل ؟ لا اخال إلا انه كان يذرف الدمع المنهمر على أقدام المخلص ، ولا يبرح عن سبيل خدمته لحظة ، ضارباً بأبهة الملك وسؤدده عرض الحائط . حاسباً عار المسيح غنى يفضل كنوز الارض جمعاء . خير له ان يتجرد عن كبريائه من ان يبقى في جهنم معذباً الى أبد الدهر — فليفطن لذلك المتكبرون !

ولو بعث نيرون من مرقده لاستبدل قصره العظيم الذي كانت ترتكب فيه من الفضائح ما يندي لها جبين الانسانية خجلاً — الى معبد الله . ولفضل ان يسير في الطرقات حاسر الرأس عاري القدم . منذراً الناس بسوء المصير ، مبشراً عن المسيح من ان يكون متنعماً بأعظم الملذات من دونه — فليعتبر بذلك الشهوانيون .

ولو أتيح لفولتير ان يفلت الآن من الجحيم بعد ان اصطلى لظاها — وان لظاها لشديد — ليرجع الى الارض مرة أخرى . لصار أقوى المؤمنين ايماناً . ووقف قلمه ووقته ومطبعته — التي عزم ان يهدم بها ما بناه الصيادون الاثنا عشر — في سبيل تشييده وتثبيته — فليتأمل في ذلك المستهزئون والكافرون

آه ! ليت واحداً من اولئك الاموات يقوم لينذر أهل الخطية حتى يفيقوا من نومهم ! ولكن هل كانوا يفيقون ؟ ان كانت توقظهم شهادته فكانوا بالأولى يستيقظون من شهادة موسى والانبياء — بل عندهم من هو اعظم من موسى والانبياء — عندهم رب المجد الشاهد الامين وهاك شهادته — وشهادته حق — فليقبلوها

« النار الابدية المعدة لأبليس وملائكته »

« نارهم لا تطفأ ودودهم لا يموت »

« يصعد دخان عذابهم الى أبد الآبدين »

جهنم نار حقه يعذب فيها الخاطئون . تكرّ الاباد تلو الآباد . وعذاب الخطاة لا يزال جديداً . تمر الدهور عقب الدهور . وعذاب الخطاة لا يزال جديداً . تمضي ملايين السنين وعذاب الخطاة لا يزال جديداً . كأن لم يمض منه شيء . انهم رفضوا ملكوتاً ابدياً فعقابهم أبدي . انهم رفضوا خلاصاً ابدياً ومسيحاً ابدياً فجزاؤهم أبدي — والجزاء من جنس العمل . يسعون وراء الموت يفتشون عليه . وانى يجدونه ؟ يتطلعون يمنة و يسرة لعلهم يعثرون على منقذ فلا يرون امامهم سوى الشياطين و كل الذين باءوا بغضب من الله ولعنته . ينصتون لعلهم يسمعون صوتاً مشجعاً فلا تقرع آذانهم إلا اصوات التجديف واللعنات . واصوات البؤس واليأس . اين الملاهي التي كانوا يلجأون اليها ليسكتوا الضمير متى قام ؟ هناك يستيقظ ضميرهم صارخاً في وجوههم . ولا يستطيعون ان يسكتوه . يصرخ ضميرهم كاشفاً لهم ايديهم ملطخة بدم رب المجد الطاهر . وهيهات ان تغسلها مياه المحيطات

ان عذاب جهنم لشديد .

* * *

فاستيقظ ايها النائم وقم من نومك . واترك طريق الظلمة والموت . وهأنا مر يك طريقاً أفضل . ان شئت أن تنجوا من جهنم فالله يأمرك ان

تب وآمن بالانجيل

تب عن كل خطية انت مستعبد لها . تب عن كبريائك و بغضك وحسدك . انك قد اسأت الى قلب الله المحب فلتتب . بخطاياك قد صلبت رب المجد فلتقرع صدرك نادماً مكتئباً . « ليترك الشرير طريقه ورجل الاثم افكاره وليتب الى الرب فيرحمه والى الهنا لانه يكثر الغفران »

تب واعترف لله بكل ماقد أتى على يديك في العمد والخطأ . اعترف بكل آثامك اعترافاً تاماً صريحاً ، واياك والاعتراف السطحي الذي لايغني عن صاحبه شيئاً . ولتثق بأن لافائدة من اعترافك طالما تخبىء خطية مستحبة في داخل قلبك ، بل اكشفه لنور كلمة الله الفاحصة المميزة افكاره ونواياه . اعترف للرب بأنك خاطىء محتاج الى الرحمة ، بانك قد جلبت العار على اسمه . هناك خطايا سرية لا يعرفها الا الله وانت لتعترف بها جميعها « فمن يكتم خطاياه لا ينجح ومن يقر و يعترف بها يرحم » واذا كنت قد اغتصبت من احد شيئاً فلترده له كاملا صحيحاً

وبعد ان تنسحق بالتوبة والاعتراف ، وتجرد نفسك عن كل بر ذاتي تطلع الى صليب المسيح كما تطلع قديماً بنو اسرائيل الى الحية النحاسية فنالوا الشفاء . تأمل في ذلك الصليب المرتفع الثقيل الذي علق عليه رب المجد عرياناً من فرط محبته لك . انظر الى جبينه المخضب بالدماء ! قرب اذنك واسمع اناته . انظر الى دموعه الساكبة ! انه لايبكي من ألم الصليب ولكنه يبكي من حمل خطاياك الثقيل الذي وضع عليه . ها الجندي يطعنه . ها الحربة تشق صدره . ها قلبه ينفتح — وكل ذلك من اجل خلاصك . قلبه قد

انفتح . دمه قد سال ! هنا — في قلب المسيح المفتوح — تستطيع ان تغمد سيف القضاء . هنا تستطيع ان تنال السلام والغفران ولا يبقى عليك من الدينونة شيء . انك لا تحتاج في طلب الخلاص الى طويل عناء أو كد أو سعي . بل في لحظة ـ في اقل من لحظة ـ تستطيع ان تنصرف من امام الله مبرراً اذا قلت للمسيح انك تقبله فادياً ومخلصاً .

زار احد خدام الله رجلا على فراش الموت وطفق يكلمه على المسيح فصرخ ذلك المريض «اواه !» ليت لي اسبوعين او ثلاثة لانال فيها خلاص الرب ! » فقال الخادم «اسبوعان او ثلاثة لنوال الخلاص! اني مريك كيف تناله في دقيقتين او ثلاث دقائق » ثم قرأ له من يوحنا ١ : ٢ « وأما الذين قبلوه فأعطاهم سلطاناً ان يصيروا اولاد الله اي المؤمنين باسمه » « وأما هبة الله فهي حياة ابدية » ثم قال : « ان الله اعطاك ابنه . ومن له الابن له الحياة ولكي يكون لك الابن اقبله كهبة من الله» « فصرخ المائت وكيف اقبله؟» فأجاب الخادم « ان آمنت بقلبك ان الله اقامه من الاموات خلصت. والآن ان شئت ان تنال الخلاص من الخطية فأقبل يسوع مخلصك. قل له انك تقبله»

ثم ركع بجانبه وطلب منه ان يردد وراءه «ايها الرب يسوع انا خاطىء وأنت مخلص الخطاة وأنا الآن اقبلك مخلصاً وأثق أنك تستطيع ان تخلص . واقبلك في نفسي . واضع نفسي في يدك »

تركه خادم الله قليلا ثم رجع لزيارته ورآه وهو يحتضر فرأى وجهه يضيء بنور ملكي . وقلبه طافح بسعادة علوية فائقة ولدتها الثقة بغفران الخطايا . وهكذا مات في سلام مع الله . ألا تريد ان تخلص ؟ « ماذا اعمل كي اخلص » تب وأقبل الرب يسوع مخلصاً لك . واخلص الآن .

حقائق مخفية

اللهم هب للينابيع ماء . وللطيور ريشاً ،
وللحملان صوفاً . وللسهول ظلا وندى ،
وللمرضى صحة، وللسجناء عتقاً، وللايتامى
مأوى . وهبني من لدنك الحكمة

لامارتين

حقائق أنت أحوج الى ادراكها من الهواء الذي تتنفسه . بيد انها قد تفوت حرصك أيها القارىء الكريم . ولذا فاني مبرزها لك بصورة واضحة جلية . ويقيني انك ان انعمت النظر فيها تستطيع ان تكسب في دقائق معدودات اكثر مما تستطيع ان تكسبه مدة العمر من سواها ؟

افرض،

انك وأنت تسير في سبيل استحكم الظلام فيه علمت أن ذلك السبيل ينتهي بك الى حفرة عميقة يسكن فيها الموت والهلاك ، فهل كنت تستمر في سيرك غير آبه ؟ أم كنت تتحول عن ذلك السبيل بأسرع ما تستطيع !

فلتعلم انك وأنت في خطاياك بعيداً عن المسيح — تسير في مزلق منحدر سهل يؤدي بك الى حفرة غير ذات قرار . ولكنك على الرغم من ذلك تسير على عجل تستحث السير الى مورد لا تعرف له مصدراً

فلتقف قليلا . أو سر على حذر ان شئت فلربما تكون الخطوة المقبلة خطوة الى الجحيم ! !

خطوة الى الجحيم ! خطوة واحدة ! تمد رجلك فلا تجد لرجلك مستقراً .

ثم تهوي الى أعماق جهنم المظلمة. بعيداً عن رحمة الله بعيداً عن محبته الى الابد!

تأمل كيف تكون حالك، وتكف نفسك مؤونة البكاء والالم، والحسرة والندم، بعد زلة القدم! . .

افرض

انك وأنت تسبح في الماء شهدت تمساحاً يسارع اليك، فهل كنت تسبح مع التمساح آمناً؟

أو انك رأيت أفعى يبسم لك عن انيابه، فهل كنت تدخل يدك في فم الافعى تستخرج السم للهوك وللعبك؟

أو كنت تسير في مغارة فيها بعض من الوحوش فهل كنت تستأنس للاسود الكواسر، والذئاب العاويات؟

عجباً لك لاتفعل ذلك، ولكنك تلقي بنفسك طيباً خاطرك، قريرة عينك، ناعماً بالك بين يدي الخطية، في حضن الشيطان بين أنياب جهنم!..

عجباً للانسان يشفق على كل شيء في الوجود خلا نفسه! يشفق على الحمائم اذ تصاد، ولكنه لا يشفق على نفسه الابدية يبتلعها الشيطان لقمة سائغة عذبة! يشفق على العجاوات تسام الخسف ولكنه لا يشفق على نفسه الخالدة التي يعذبها الشيطان

افرض

ان قد قدمت لك من عدو كأساً حلوة، ولكنها فتاكة بحلاوتها فهل كنت تشربها هادئاً مطمئناً؟

ولكنك ما دمت تستعذب الخطية، تستسيغ الشر، مادامت تلهيك

زخارف العالم وملاهيه عن الاهتمام بنفسك فانك تشرب بيدك كأس الموت الابدي ، تشربها مغتبطاً بحلاوتها واست تدري ما قد خبأته تلك الكأس

افرض

ان قد طلب منك ان تشترك في جريمة صلب ربك ، وان تقف مع من هزأوا به ، وتسخر مع من سخروا منه . فهل كنت ترضى ؟

يقيني انك لاترضى . ولكنك مادمت لم تختبر قوة صليب المسيح في خلاص نفسك من الخطية ، فانك بخطاياك تصلب كل يوم ربك ، تثقب بالمسامير يديه وتشق بالحربة صدره

ربما تكون ممن يتهيبون عند ذكر الصليب ، وربما تكون قد اكرمت الصليب بفيك ، ولكن طالما انت سالك في سبيل المعاصي ، طالما انت تستهين بالخطية ، فانك تلطخ يديك بدم المصلوب ، وتستقبل ذلك الدم على رأسك . فتسجل على نفسك الدينونة واللعنة !

افرض

انك تسير وسيف (داموكليس) مشهر فوق رأسك ، لا يبرح عنك في غدواتك وروحاتك ، مستعد لان ينزل على عنقك في أي وقت أفما كنت تضطرب وتقلق ، لايهنأ لك نوم ، ولا يستطعم لك مأكل ، ولا يستساغ مشرب ؟

ولكنك ايها القارىء الكريم طالما انت لم تتحول عن سبيل شرورك وتنزع عن خطاياك ، طالما انت لم تنل غفران آثامك ، طالما انت لم تفز بسلام الغفران ، طالما أنت لم تغتسل بدم ابن الله المصلوب . طالما انت لم تفعل ذلك فانك تحمل حكم الموت وسيف النقمة معلق فوق رأسك أبداً ، مستعد

لان يهوي عليك في أية لحظة لانك مجرم في صلب ربك

لقد تربأ اليوم بنفسك عن ان تكون ضمن القتلة السفاحين ، لقد تعيذ نفسك من ان تكون في عداد صالبي ربك ، ولقد تخال انك أحرص على يديك من ان تلطخهما بدمه ولكن طالما أنت بعيد عن خلاصه فانك ضمن قاتليه ولسوف يصيبك جزاء القاتلين

ليت شعري بماذا تجيب حينما تسمع زعقة الدماء طالبة منك الجزاء ؟ ليت شعري ماذا تفعل حينما تنظر الى يديك فترى آثار الاجرام ، وليت شعري كيف تستطيع ان تحول عنك رائع الانتقام ؟

ويحك من يوم يقوم فيه الضمير ، ويحك يومئذ من عذاب السعير

افرض

انك استطعت ان تحلق فوق الموت والهاوية، ورأيت ماذا يعملان ببني البشر ، شهدت الخطاة يتلوّون في بحيرة النار من الالم، نظرت دموع الباكين وسمعت انات الهالكين ، أفما كنت تود الهروب من ذلك المكان ؟

هذه جهنم النار لا تستطيع النظر اليها ، ولكنك تختارها بارادتك مقراً لك ابدياً .

باتخاذك سبيل الشر تختار لنفسك اللعنة والموت الابديين وتنزل بنفسك الى احضان تلك الهاوية السحيقة .

* * *

حقيقة حالك قد كشفتها لك كما هي تماماً، واني لعلى يقين بانك لا ترضى لنفسك بتلك الحال السيئة

واني لعلى يقين أيضاً بان الله لا يرضى لك بتلك الحال السيئة ، لانه يحب نفسك

أجل . يسوع يحب نفسك حباً يملك عليه أفكاره، ومشاعره وكل قلبه الحب يملأ مابين جنبيه فلا يترك فيه فراغاً

نار الحب تشتعل في داخله ، ولن تجد ما يشبعها سوى نفسك لهذا يود خلاص نفسك

يسوع يحبك . وقد اظهر ذلك الحب جلياً على الصليب. هناك قد انفتح ذلك السفر المختوم — قلب الله — فظهر انه لا يحوي الا كلمة المحبة

قلب الله قد انفتح وانك لتستطيع ان تبحث فيه، وتستكشف شيئاً من مجاهله — وسعيد انت اذا فعلت — ولن ترى غير الحب يملأه ملئاً . اهبط الى أسفل أعماقه ، اصعد الى أعلى أعاليه فلن ترى غير الحب . حبه لك أنت الخاطىء .

فوق الصليب تجمعت على رأسه الطاهر كل خطاياك التي تفوق حصرك. فانحنى ذلك الرأس من ثقلها — ولم يكن لينحني من قبل — فلم يستطع ان يتطلع الى وجه الآب ، وبذا انفصمت عرى الشركة بينه و بين ابيه — آه وما كان أمرّ ذلك الانفصام على نفسه ! كل ذلك تحمله يسوع حباً في نفسك وخلاصها . .

فتأمل في يسوع معلقاً فوق الصليب ، والحب يسيل من بين الاشواك الوخزة ، من جراحه الدامية ، مع دموعه الدافقة !

تأمل. ولترحم ذلك الحب : لترحم هاته الدموع ! لترحم نفسك .

يسوع يحبك وها هو قريب منك جداً . يحمل في يده الخلاص ، يحمل في يده الصفح والغفران ، يقدمها لك وكل ماعليك أن تقبل .

كل ما عليك ان ترتمي على الصليب ، وتطلب من ربك المصلوب ان يغسلك من خطاياك ويزيل عنك آثامك . وتثق بان في دم المسيح قوة تستطيع ان تزحزح أعظم جبال الخطايا . في دم المسيح قوة تقوى على تطهيرك في لحظة بل في أقل من لحظة .

فلتأت الى يسوع كما أنت ، ولا تسع في اصلاح نفسك لان ربك يستطيع مابين طرفة عين وانتباهتها ان يخلق منك انساناً جديداً طاهراً .

أيت اليه كما انت . ولتحذر ان يكون مثلك مثل المتسول مع الرسام .

ذلك ان رساماً أراد ان يرسم رجلا ضربت عليه المسكنة فرأى متسولا يتعثر في أسمال خلقة فطلب منه ان يحضر له في ميعاد عينه له على ان يعطيه أجراً

خجل المتسول من اسماله البالية فاستعار لباساً يدفع به عن نفسه الخجل ثم غشي الرسام في ميعاده وقال له « ها أنذا جئت كأمرك »

نظر اليه الرسام وقال « اني لاأعرفك »

قال له الرجل « ألا تذكر شحاذاً فقيراً اتفقت معه على ان يجيئك في هذا الميعاد »

فاجاب «أني لاأذكر الا رجلا في اسمال بالية خلقة. أما انت فلا اذكرك»

فلتأت الى يسوع بحالك السيئة ، ولتعترف له بكل خطية قد اقترفتها ، بكل شر أنت مستعبد له ، واقبله مخلصاً لك ، وفادياً لنفسك

اذا فعلت ذلك تشعر بحمل خطاياك ينطرح عن ظهرك ، تحس بسلام

الغفران يملأ فكرك وقلبك. وبهذا تضمن لنفسك الدخول الى الجنان الابدية

* * *

مثل ضربه أحد خدام الله .

لنتصور السماء وقد نزلت امامنا ، وانفتحت ابوابها والناس يقصدون اليها افواجاً .

يأتي أول شخص كانه يخلع رجليه من الارض خلعاً ، يريد الدخول فيتصدى له الملاك الحارس على الباب معترضاً يسائله عن كلمته السرية التي يريد بها الدخول فيجيب ذاك « طول الحياة قضيت عضواً في الكنيسة ، وكنت من أكبر العاملين فيها . كم صليت وكم عبدت ، وكم وعظت ، كل حياتي وأنا أنفق وأنفق في خدمة الرب» فيجيبه الملاك «لن يسمح لك بالدخول»

يأتي الثاني فيسأل عن كلمته فيقول « لقد انفقت حياتي كلها في عمل الخير ، كم يتيم آويته ، كم جوعان اطعمته ، كم جريح واسيته، كم بائس فرجت كربته ، كم غريب آويت غربته ، كم عريان سترت عورته » فيقول له الملاك « وانت لايسمح لك بالدخول »

يأتي الثالث يسارع الخطى متهللا مستبشراً ، وعلى فمه ابتسامة عذبة تنم عما يحويه قلبه من الثقة والاطمئنان، وقبل ان يسأل عن كلمته السرية يجيب

« دم المسيح ! دم المسيح »

وفي الحال يفسح له الملاك، فيجوز الابواب اللؤلؤة الى حقول السماء ! .. هللويا — آمين

اين تقضى الابدية ؟

هناك أسئلة تعرض للانسان في حياته تترتب عليها نتائج بعيدة المدى . ماذا أختار لنفسي من مهنة ؟ ومن اختار من الاصدقاء؟ وكيف أشق طريقي في الحياة ؟

ولكن ليس بين هذه الاسئلة وأشباهها ما يقرب في الاهمية، وما يمكن أن يترتب عليه من النتائج ما يترتب على السؤال: اين اقضي الابدية ؟

هل أقضيها مع المسيح والقديسين ، أم اقضيها في النار الابدية المعدة لابليس وملائكته ؟

قد ترى الناس جد مشغولين كيف يقضون سهرة من السهرات، لاتزيد عن بضع سويعات . ولكن الامر هنا لا يتعلق بساعات أو ايام ، او سنين ، بل بالابدية ؟

الابدية ! . .

كلمة بسيطة في مبناها . ولكن أي عالم من المعاني تحوي ؟

الزمن ازاءها هو حبة بجانب رمال الصحراء، وقطرة بجانب ما في المحيط من ماء

هذه الابدية العظيمة الهائلة هي مثابة الناس جميعاً ، حين يطوي الزمن المقدر لهم في هذه الحياة .

عند ما ينفصم حبل الفضة، و ينسحق كوز الذهب ، وتنكسر الجرة على العين، وتنقصف البكرة عند البئر، عند ذلك يذهب الانسان الى بيته الابدي.

فهل أعطيت هذا الامر حقه من التفكير رحمة بنفسك الابدية الخالدة ؟ وهل اهتممت باسعادها في دار الخلود ؟

كان لأحد الامراء ضمن حاشيته رجل مغفل كان يتخذ منه سبباً للضحك واللهو . وفي ذات يوم أعطاه عصا ، وأمره ان يحتفظ بها الى أن يقابل رجلا يفوقه في الغباء .

بعد سنين عدة مرض الامير للموت وجاء المغفل ليراه . فقال له سيده « اني تاركك الى الابد » ؟

— والى أين ؟

— الى عالم آخر

— ومتى تعود ؟ أبعد شهر ؟

— كلا

— بعد سنة ؟

— كلا ؟

— ماذا اذن ؟

— لن اعود أبداً

— وماذا أعددت من زاد للمكان الذي أنت ذاهب اليه؟

— لا شيء .

— أحقاً ماتقول . اذن فهناك عصاك خذها لاني مع غباوتي لم أصل الى الحد الذي وصلت اليه .

هكذا وصف المغفل أميره .

وأية حماقة يمكن أن يوصف بها البشر، الذين يظنون في أنفسهم الحكمة وبعد النظر، حين يفكرون في أمر غدهم، يدبرون له التدابير منصرفين بكلياتهم وجزئياتهم، لتأمين مستقبل قد لا يعيشون فيه قط. وأما ذلك المستقبل الكبير - الأبدية - وهم لابد واردوه، فهو في نظرهم لا يستحق من تفكيرهم لحظة واحدة ؟

وحتى حين تعرض الابدية ذاتها - كما يحدث في بعض اعمال العناية - على سمع الانسان وبصره، ترى الانسان يشيح عنها بوجهه، ظناً منه انه بهذه الطريقة يخلص منها الى الابد ! . .

أعرف شخصاً كان من واجب عمله ان يجوز مكاناً فيه شيء من الخطر. وكان كل مرة يجوز ذلك المكان يغمض عينيه لئلا يرى . وكأن هذا العمى الذي ضربه على نفسه كفيل بأن يقيه شر الخطر الذي يتعرض له ! . .

وكم من البشر - كلما جازت الابدية مقابلهم - يستعيرون من الشيطان أعصبة، يعصبون بها عيونهم، لئلا يروا الهاوية، وهم في طريقهم اليها . .

ولكن هل هذه الطريقة تنجيهم ؟ كلا. بل انهم لابد واصلون . ومتى وصلوا سقطت تلك العصابة عن عيونهم من تلقاء نفسها فرأوا انفسهم - وقد سدت عليهم المنافذ - انهم انتهوا الى حيث لا يرغبون .

والطريقة الصحيحة ليس ان تتهرب من التفكير في الابدية، بل أن تواجهها . وخير لك ألف مرة ان تواجهها في هذه الحياة وأنت في امكانك تغيير مصيرك فيها من ان تواجهها بعد فوات الاوان .

كان لوثر يسير مع صديق له واذا بصاعقة تنقض على صديقه فتنقله من

عالم الزمن الى عالم الابد . وكان هذا الحادث كافياً لتحويل نفسه للتفكير بالابدية والى خلاصه .

وروى عن شاب اطلق لنفسه عنان الشهوات أنه أرق ذات ليلة على فراش نومه واستطار النوم من عينيه . فأخذ يتلوى على فراشه متضايقاً . عندئذ جعل يفكر . ان كان أرق ليلة واحدة وهو على مثل فراشه الوثير يضايقه الى هذا الحد فكيف يفعل في الابدية وهو مسهد فوق فراش النار ؟ هذا الفكر قاده للتوبة .

وجاء في تاريخ الكنيسة القبطية ان شاباً اسمه ثيودورس كان من أسرة غنية اقامت اسرته حفلا كبيراً حافلا بجميع أنواع الطرب . ولكن في وسط هذا الطرب خطر على فكره خاطر جعله يقول « أمامي الآن مختلف اللذات الجسدية ، استطيع ان أعب منها ما أشاء . ولكن الى متى ؟ مهما طالت فهي قصيرة الامد . » ثم خلا بنفسه من دون الناس وركع يصلي « يارب اني افتح اليك قلبي . لست أعلم ماذا أطلب . ولكني اطلب منك ألا تميتني موتاً أبدياً . امنحني ان أحيا للابد لاسبحك » . ومن ذلك الوقت انصرف الى عبادة الله . وهكذا قاده التفكر بالابدية الى خلاص نفسه .

ان عليك واجباً ان تسائل نفسك عن مصيرك في الابدية لتتدبر الامر من الآن . ولكن هل يمكنك ان تعرف هذا المصير ؟

لقد أغرم البشر باستطلاع مستقبلهم في هذه الحياة . يجوبون البر والبحر وراء من يظنونه قادراً على كشف مايخبئه لهم الغد . فتراهم تارة يلجأون الى

السحرة . وأخرى الى المنجمين ، والى وسطاء الارواح . وهم لايرجعون منها الا بالكذب والبهتان .

وانه لمدهش حقاً ان يهتم الانسان بهذا المستقبل القريب الذي قصد الله ان يحجبه عن الانسان . فيلتمس طريقه اليه في ظلام وراء ظلام . وهو ان قدر له ان يبلغه فسرعان مايفلت من يديه .

اما المستقبل الذي لاينتهي فقد قصد الله ان يكشف للانسان عن مصيره فيه . كل ما على الانسان ان يأتي الى كلمة الله مفتوح العينين فيرى مايخبئه له فيه ان شراً وان خيراً . « واما الذين بصبر في العمل الصالح يطلبون المجد والكرامة والبقاء فبالحياة الابدية . وأما الذين هم لايطاوعون الحق بل يطاوعون للاثم فسخط وغضب ... لان ليس عند الله محاباة »

ومن رحمة الله ان جعل مفتاح تغيير مصير مستقبله في يده .

يأتي الشرير الى كلمة الله فماذا يرى ؟

يرى عذاباً ابدياً ، وناراً لاتطفأ ، ودوداً لايموت .

ولكن هل هذا الطالع مسجل عليه لاينقض ؟

كلا !

ان في امكانه اختيار ابدية افضل . وكيف السبيل ؟

بالايمان بالمسيح ، وقبوله اياه مخلصاً له وفادياً يستطيع ان يضمن لنفسه مستقبلا من الراحة الدائمة والسعادة الابدية في جنان النعيم .

ايها القارىء . هل تقبل ؟ . .

الراحة الابدية

« بقيت راحة لشعب الله » عبرانيين

اذن فهناك مجد سماوي ، وسعادة أبدية تنتظر قديسي الله .

لقد كنا نظن ان الناس لو سمعوا مرة واحدة عن ذلك المجد السماوي ، وتلك السعادة الابدية ، لما هدأ لهم بال أو قر لهم قرار ، حتى يتعرفوا الطريق اليهما ، و يتأكدوا من نصيبهم فيهما .

ولكن الناس الذين يسمعون عن ذلك كل يوم ، وحتى الذين يدعون منهم بانهم مؤمنون ، يسيرون وكأن الامر لا يهمهم في قليل أو كثير .

أيها الخطاة الاغبياء : من رقاكم ؟ حقاً ان العالم ليسحر الناس فيحولهم الى حيوانات ، و ينزل بهم الى احط من الجنون !

أي اهتمام يشغل أفكارهم بأشياء تافهة عديمة القيمة ، بينما السعادة الابدية لا تجد لها مكاناً في عقولهم ؟ !

أي جهود تبذل من أجل التقدم — ربما خطوة واحدة — في سبيل الرفعة العالمية . في حين يضربون بالمجد الالهي الملكي عرض الحائط ؟

أي سعي نحو المسرات الجسدية ، الفارغة الجوفاء ، بينما هم ينظرون الى فرح الملائكة وعبادة الله وتسبيحه كحمل ثقيل ؟ !

وأي انصراف نحو تنمية ممتلكاتهم وثرواتهم ، بينما الدينونة تقترب منهم وهم لا يفكرون قط كيف يواجهونها ، ولا اولوها أي جزء من عنايتهم ؟ !

وأي قيام مبكر ، ونوم متأخر ، جاهدين من سنة الى سنة لكي يسدوا

رمق أنفسهم واولادهم ، مدة الحياة القصيرة ، واما ما يلي هذه الحياة فهم لا يعملون له أي حساب ؟ !

ماذا فعل العالم لمحبيه واصدقائه حتى يتبعوه بهذا الاخلاص ، بينما المسيح والسماء يظلان واقفين جانباً لا يلتفت اليهما أحد ؟

أي شيء يستطيع العالم ان يعمله لهم في هذا الزمن او في الابدية ؟

ان الدخول الى العالم انما يجيء في ألم ، والسير فيه تكتنفه الاحزان ، والخروج منه يتم بين الحسرات والدموع . فأي جزء منه أعجبهم حتى فضلوه على الابدية السعيدة وافراحها ؟

ايها الناس المسحورون ، هل يمكن لافراح العالم ان تلازمكم ؟ وهل يستطيع ذهب العالم ومجده ان يظلا على صداقتهما لكم يوم تحتاجون اليهما أشد الاحتياج ؟ وهل يسمعان صرخاتكم يوم النقمة ؟ وفي ساعة احتضاركم هل يخفان لنجدتكم أو للتخفيف عنكم ؟ وعند دخولكم الى العالم الآتي هل يرافقانكم اليه . ليرشوا الديان ، او يستصدرا عنكم حكم البراءة ، او يشتريا لكم مكاناً بين الممجدين ؟

لماذا اذن طلب الغني نقطة ماء يبرد بها لسانه ؟

ايها القارىء ان خلاص نفسك ليستحق منك اهتماماً اكثر من كل ما تشهده من زخرف العالم وبريقه .

آه . لو أتيح لك ان تشهد العالم ساعة انحلاله وزوال مجده حين يتحول هو وعظمته الى رماد خابي فأي تأثير يحل عليك ؟

واذا قدر لك ان ترى يوم الدينونة — كما سوف تراه صدقاً وحقاً —

والكتب تفتح والخاصة من يسار الديان يرتعدون بينما الابرار عن يمينه فرحون، وتسمع النطق بالحكم على كل فريق منهم، فاي شخص تصبح بعد هذا المشهد ؟

ولو رأيت جهنم مفتوحة، وكل الاشرار فيها يتعذبون، والسماء مفتوحة ايضاً كما رآها استفانوس والقديسون فيها بمجدهم الابدي فاي تغيير يكون في مسلكها ؟

ولو ان ميتاً من معارفك عاد من الاموات، وخبرك عن عذابات الجحيم من جراء الخطايا التي ترتكبها فأي انسان تصبح ؟ وكم يجب بالاحرى ان تؤثر فيك انذارات الله ؟

ولو علمت ان يومك الذي أنت فيه هو آخر يوم لك تقضيه في هذا العالم فكيف اذن كنت تقضيه ؟ ومن أدراك فقد لا يتبقى لك في الحياة سوى اليوم ؟ وعلى كل حال ان طال عمرك أو قصر فنهايتك قريبة ؟

ايها القارىء . لتستعد لابديتك ولتهرب من الغضب الآتي . ولتعلم ان الله أعد لك راحة تنعم بها الى الابد ان شئت. وهذه الراحة التي يقدمها لك الرب هي راحة مجانية

لقد كانت عزيزة على المسيح ولكنه يهبها لك مجاناً. وحينما اراد المسيح ان يشتريها لك لم يكن لشرائها أي ذهب أو فضة، ولم ينفع في الحصول عليها دموع أو صلوات، ولم يستطع هو ان يشتريها إلا بدمه الكريم . واما شراؤك أنت فهو مجرد القبول . « بلا فضة و بلا ثمن » . فهل انت شاكر له فكك من الدين الذي عليك ؟

أية دهشة وأي عجب يصيبك من جراء التأمل في هذه العناية ؟ ماذا رأى الرب فيك حتى يحسبك أهلاً لمثل هذه الحالة ؟ ان تؤخذ انت الفقير المريض لتلبس هذا المجد البهي ؟ انت الدودة الحقيرة الزاحفة لترتقي الى مثل هذه العظمة ! ان تؤخذ من القبر الذي كنت موشكاً على التلف فيه لتقف لدي عرش الله ؟ ان تؤخذ مع مردخاي من الاسر لتكون ثاني الملك ؟ مع دانيال من جب الاسود تصبح حاكماً وأميراً ؟ هل تستطيع ان تقيس اعماق هذا الحب ؟

هذه هي الراحة التي أعدها لك الله . فهل تقبلها ؟

كما كنت قاسياً من نحو المسيح لتطلبه بكل قلبك ، ولتطعمه بلا تحفظ ، ولتلق بنفسك على رحمته ، وتطلب خلاصه .

عندئذ تدخل في عداد شعب الله . ويحق عليك القول « بقيت راحة لشعب الله »

نفسك - هل تعتني بها؟

كان سقراط الفيلسوف يشاهد تماثيل تفنن في ابداعها بعض المثالين فقال: « عجباً لهؤلاء الفنانين كيف يحيلون الاحجار الى أشباه الناس ، وأعجب من ذلك ان ترى اناساً يحيلون انفسهم الى اشباه الاحجار ! ! . . »

نعم . كم من الناس يحيلون أنفسهم الى اشباه الاحجار ، بل والى اشباه الحيوان . فيعيشون وكأنه ليست لهم بين جنوبهم نفوس مخلوقة على صورة الله في البر وقداسة الحق . .

جاء في القصص اليونانية ان رجال عولس نزلوا ضيوفاً على الملكة كركي فقدمت لهم شراباً ممزوجاً ، حين شربوه ، استحالوا جميعهم الى خنازير . والعالم مازال يقدم لتابعيه هذا الشراب السحري الذي يغير الانسان عن طبيعته التي خلقه الله بها فيعيش بلا نفس تدرك الامور الروحية أو تأبه لها وتهتم بها .

ان للانسان نفساً ـ أبدية ـ خالدة . والنفس هي الجزء الأفضل فيه . هي تلك الطيفة النورانية التي أودعه الله اياها ليحرص عليها حرصه على نور العين . .

هذا هو عمل الانسان الاسمى . ويجب ان يكون شغله الشاغل .

ولكن كم من الناس يقدرون قيمة نفوسهم حتى ان اهتم بها النفر القليل ،

فانهم يضعونها في مرتبة قليلة الخطر بالنسبة لما يشغل تفكيرهم . وأكثر الناس لايكادون يعرفون ان لهم نفوساً قط !

أننا نلوم والدينا الاولين لانهما باعا الجنة بتفاحة ، ونعجب من عيسو اذ تنازل عن بكوريته من أجل أكلة . ولكن الاختبار اليومي يعلمنا ان كثيراً من الناس في كل يوم يبيعون نفوسهم بغير مال ولا يربحون بثمنها.

من أمثال اليهود ان امرأة عهد اليها بطفلين ترضعهما — أولهما أعمى ، مشوَّه ، ضعيف لا أمل يرجى في بقائه . أما الآخر فقد كان جميل الصورة ، والتكوين قوياً ، تنبيء صحته له بعمر طويل . ولكن هذه المرأة الجاهلة صرفت كل عنايتها ، واهتمامها ، مع الطفل المائت . وكانت نتيجة ذلك أن مات الاثنان ، احدهما ، لانه كان مقدراً له ان يموت ، والثاني لأنه اهمل . هذان الطفلان هما النفس والجسد ومثل هذه المرأة يصرف الناس كل عنايتهم الى أجسادهم يعتنون بها ، ويدللونها وهي لاتلبث ان تموت اما نفوسهم الابدية فانهم يهملونها الى ان تفلت من ايديهم .

ان للانسان نفساً واحدة . لو كان له نفسان لأمكنه التفريط في واحدة منهما والحرص على الثانية . ولكن للانسان نفساً واحدة، ان ضاعت ضاع معها كل شيء .

قال يوحنا فم الذهب : « لقد وهب الله الانسان عينين ، وأذنين ، ويدين ، ورجلين حتى اذا خسر الانسان استعمال واحدة منهما انتفع بالاخرى ولكن الله عطى الانسان نفساً واحدة ، اذا فقدها لم يجد ما يعوضها ، قد

يفقد نبوخذ نصر ملكه ، ولكنه يرد اليه ، قد يفقد ايوب صحته ولكنها تعود ، قد يفقد لعازر حياته ولكنه يقوم اليها من جديد . . أما النفس فاذا فقدت فليس هناك شيء في الوجود يمكن ان يعوض فقدها .

ومن المؤلم أننا نحن الذين نضيع نفوسنا باختيارنا . ونهلكها بايدينا .

حينما استضافت الملكة كليوباترا مارك انطوني في الاسكندرية صنعت له وليمة عظيمة وأرادت ان تظهر له فائق اكرامها فأخذت لؤلؤة غالية الثمن أذابتها في كأس من الخمر شربتها في محبته .

وهل يمكن ان يقارن ما فعلته كليوباترا بما يفعله الكثيرون بنفوسهم ؟ يذيبونها من أجل أول لذة طارقة وهم هادئو البال قريروا العين .

أننا نؤمن على كل شيء نحسبه ثميناً في نظرنا . فنؤمن على حياتنا — مع ان التأمين لايمنعها من الضياع — ونؤمن على منازلنا، وأثاثنا . وقد تفنن الناس في هذه الايام في طرق التأمين على اصواتهم ، وأرجلهم وأيديهم حتى لايكاد يبقى شيء لايؤمنون عليه ! ! .

ولكن كم من الناس يفكرون في التأمين على نفوسهم ؟ ! .

لقد غدت النفس أرخص شيء في الوجود للانسان. يحزن على مايضيع منه مهما كان تافهاً ، ولكنه لا يحزن على ضياع نفسه .

يقول القديس اغسطين في اعترافاته وهو يصف حاله الاولى في ضلاله انه حين كان يسمع عن قصة حب ديدو لاينياس ، وكيف تعذبت في ذلك الحب، كان اغسطين يتألم أشد الالم ، بل كان سماع هذه القصة أو مشاهدتها

على خشبة المسرح ، تستدر الدموع من عينيه و يندهش القديس من نفسه كيف كان يبكي لقصة حب خيالية لا وجود لها في حين كانت نفسه تنحدر الى الهلاك الابدي وقلبه ، لايلين ، وعينه لا تسكب عبرة .

وكم من الناس الآن يبكون وهم يشاهدون في السينما أو التمثيل قصة خيالية عن ابطال لا وجود لهم لانه قد حيل بينهم و بين حب قد يكون آثماً ! . .

أما نفوسهم الابدية التي يحول الشيطان بينها و بين حبيبها الأوحد ـ الرب يسوع ـ فهي لاتهمهم في قليل او كثير، حتى ولا في عالم الصور أو الخيال.

فتنبه ، ايها القارىء . واعلم ان لك نفساً ، وحيدة ، أبدية ، تستحق منك التفات الحياة ! . .